« انتهى نسخ هذا الجزء من التنقيح الثنويّ سنة ١٥٦٦ (١٢٥٥ م) في ٢٨ تشرين الاوّل بدير والدة الله ومار يعقوب ومار ديمط المعروف بدير القرن موقعه في جبل الاثل. كتبه يعقوب ابن القس يوحنا مولده في زبدينا قرية في القلمة الحديثة بنصيبين في عهد رؤساء البيعة الذين تحفّزوا للخصام والمشاحنة. مار يوحنا البطريرك [السابع عشر المعروف بابن المعدني ١٢٥٣–١٢٦٣] ومار ثاودوسيوس البطريرك ومار اثناسيوس (١ وباسيليوس مطران دير قرقين. . اهتمّ الآباء وجعلوا هذه الذخيرة الروحية في كنيسهم المبنيَّة على اسم الشهيد الجليل بسّوس. . وفي هذا الدير سبعة عشر راهباً. اجتهد بصنع ورقه الرقّ رهبان دير قرقين »

وتفقّدنا في جنوبي غربي عرناس ديرًا متهدّماً يُعرف باسم دير مار ديمط (ومحلّه) الجديد وليس فيه احد بتّة . وفي عرناس زهاء ثمانين عائلة يعقوبيَّة وعشرين اسلامية . امّا في باته فعشرون عائلة سريانيـة كاثوليكية وعشر اسلامية ونيّفاً ومائة عائلة يعقوبيَّة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على رؤسائهم ورهبانهم (تابع)

وهذه الفاظ أخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرته (ص ٢٠)

١) لا ندري من هو ثاودوسيوس واثناسيوس ولعلّ احدهما هو ديونوسيوس [السابع المعروف بنجور ١٢٥٢–١٢٦١] الذي ارتسم ابن المعدني بطريركاً بعده بسنة وثلاثة اشهر تقريباً . فاضحى من ثمّ بطريركان للياقبة كلٌّ يسعى في تأييد البطريركية لهُ . وكلاهما كانا في عهد ابن العبريّ . امّا البطريرك الثالث الذي ذكرهُ مؤرخ كتاب التنقيح باسم اثناسيوس فلا ندري من هو وقد اهمل ابن العبري ذكرهُ . ولعلّهُ كان مروقاً بصفة بطريرك في طور عبدين فقط

عن اوّل داعٍ للنصرانيّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمّا ساح في الارض بعد تنصّره وزهده. والاسم السياحة قال في التاج (٢: ١٦٨): « السياحة والسُّيُوح والسَّيَحان والسَّيْح الذهاب في الارض للعبادة والتَّعبُّد (قال): ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام فيبعض الاقاويل لانهُ كان يذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » وقد مرَّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبّد المتقرّب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث اوّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي (القُوقة) والرجل مقوّق. جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢: ٢٠٠):

أبا القسّ الذي قد حلق القوقة حلقه
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نسقه

ومنها (الحازي والعرّاف والكاهن) وهي الفاظ التبست عليهم فتردّدوا في معانيها. ولا شكّ انها أُطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم « الكاهن والعائف والعالم بالامور » (راجع التاج في المادّة) واللفظة معرّبة من العبرانيّة (חזה) اي الناظر والنبيّ او مأخوذة من السريانيّة ܚܙܳܐ او ܡܶܚܙܳܐ اي المتفقّد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمته ولعلّها ترجمة اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرّاف) ارادوا بها الساحر والنبيّ بالمستقبل عموماً. وقد خصّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ (ص ٥٩٨):

فريقان رهبان بأسفل ذي الغرى وبالشام عرّافون فيهن تنصّرا

ومثلها (الكاهن) فانّها وردت بمعنى مدّعي معرفة الاسرار والتخاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكَهانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليّة زيد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيّة (כהן) وفي الآرامية ܟܳܗܢܳܐ فلا بُدَّ من القول انَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربيّة. والدين المسيحي لا يقوم الّا بالنظام الكنسيّ اي بوجود اساقفة وكهنة ومنهُ يتّضح انّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السّحرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاصّ اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدّسة وان لم يتصّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب (١٧: ٢٤٥): « العرب تسمّي كلّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمّي المنجم والطبيب كاهناً » فطبيب الارواح احقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهّان الذين دعوا الى الله وردّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدلّ على انّهم كانوا ارفع مقاماً من السّحرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصّة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدّة الفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم الفاظ أخرى خاصّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما سترى

منها (الكنيسة) وهي لفظة ساميّة بمعناها المجمع عبرانيّتها כנסתא وسريانيّتها ܟܢܫܬܐ فانت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright):

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ رجسا كنائسُ خنثمٍ ودِنان

(قالوا) الخنثم الخرّف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعة) وهي سريانيّة ܒܥܬܐ ومعناها البيضة والقبّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً. وذكرها مكرّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣: ١٦):

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على نبيّ المسلمين (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

و تدم منها قول لقيط بن مَعْبد في عينيّته التي وجّهها الى قومه ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

نامَتْ فؤادي بذاتِ الخالِ خَرْعَبَةٌ مرّت تُريد بذاتِ العَذْبَةِ البيَعا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى : بذات الجذع . وروى في التاج « نامت .. خزعتهُ » وهو تصحيف . ومثلهُ قدماً قول عبد المسيح بن بقيلة (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم جرّعتُ بدَيْرِ الجَرْعَةِ غصصاً كبدي بها مُنْصَدِعهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كثبٍ زُرْنَ احتساباً بيَعهْ

ومنها (القُلَّيس) قال في المخصّص (١٣ : ١٠٣) : « القُلَّيس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِميَرُ ». واللفظة دخيلة اصلها من اليونانيّة Ἐκκλησία . وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك ابرهة (راجع ما نقلناهُ من اقوالهم في مجاني الادب ج ٣ ع ١٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦)

ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليّة » وقد مرّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

واجلُّ ما في البيعة (هَيكَلُها) وهو صدرها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيّة היכל وآراميّة ܗܝܟܠ وهي فيهما بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربيّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الاغاني : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنهُ (؟) سُمّي بيت النصاري الهيكل ». وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ . قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تَمْشي النعامُ بهِ خَلاءً حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيت الهيكلِ

قال في المخصّص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام ... وربّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

ومنا · ايليٌّ على هيكل بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا .

ومثلهُ قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ايلُ الايلين المسيح بن مريما

وفي الهيكل (المذبح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى . سُمّيت بالمذابح للقرابين» . وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك المعتقدات »

قال الحسين بن الضحّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مذبحها وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبُها) وقد مرَّت . واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصَّليب) تنويهاً بموت السيّد المسيح مصلوباً . وقد تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلُب وصُلبان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كتبلة وكرأية . وقد أقسم بهِ عديّ بن زيد فقال (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سمى الاعداء لا يألونَ شرًّا عليكَ وربِّ مكَّة والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاوَّل عن اكرام النصارى لمكَّة في الجاهليَّة (ص ١١٨) . وممَّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ موبَّلةٍ لدى صَليبٍ على الورداء منصوبُ

قال الصغّاني (Lane s.v) : «سمّي النابغة اللَّهَمَ صليباً لأنَّهُ كان على صليب لانهُ كان نصرانيًّا » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥) : « اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا » . وقد ذكر الاخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدَّمهم (ديوانهُ ص ٣٠٩) :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا خلَّوا لنا راذانَ والمزارعا

ومن شعر عبادة العرب للصليب حجّار بن أبجر قال يهجو بني سجل النصارى (الاغاني ١٣ : ١٧) :

تُهدّدني سجلٌ وما خلتُ أنني خلاةٌ لسجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

اي تعبد الصليب. وروى في التاج (١٠ : ٩٠) للأقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلههم حاشاي اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسمون جباههم بالصليب قال حجّة الدين الصقليّ في كتاب أنباء نجباء الأنباء لخالد بن يزيد في امرأته رَمْلة الزبيريّة (ص ٩٤) :

أُحبُّ بني الدرّام طُرًّا لاجلها ومن أجلها حبّبت أخوالها كَلْبا
فان تُسلبي أسلم وان تنصّري يخطُّ رجالٌ بين اعينهم صُلْبا

وبنوا من الصليب فعلًا فقالوا صلّب اي رسم الصليب كما رأيت في شعر الاعشى:

فما أبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزيّنون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً الى ما تمثّلهُ لهم من اولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر اهل الجاهليّة عدّة شواهد على ذلك. فذكروا (الصورة) وهي هيئة الشيء وشكلهُ لا سيما هيئة اولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيّة بين عرب الحجاز (ص ١١٦—١١٧) انّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة «الملائكة والانبياء كموسى ومريم وعيسى»: ومنّن ذكروا الصور النصرانيّة الاعشى كما سبق فبنى من الصورة فعلَ «صارَ»:

وصلّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور. وتسمّى الصورة (تمثالًا) قال في التاج (٨ : ١١١) : «التمثال الشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله عزّ وجلّ. (قال) والتماثيل هي صور الانبياء. وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت». وكانت تلك الصور تُتقن بالفن وينقشونها بالالوان ويطلونها بالذهب. قال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرًّا مثل الهلالِ صورُها ومثل تمثالِ صورةِ الذهبِ

(قال) ويروى : بيعة الذهب. وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنَّ دُوَيْنَ الطِرْبالْ يَشَرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصَالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النحرِ واقدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيما في اعيادهم . قال الحارث بن خالد المخزومي (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبِيَعةُ خَوْد مثل تمثالِ بيعةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال (الدُّمية) جمعُها الدُّمى واصلها من السريانية ܕܡܘܬܐ ومعناها الشبه . قال في التاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمية الصورة المنقَّشة من الرخام (عن الليث) . وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامّ من كلّ شيء مستحسن في البياض او الصورة عامّة (وهو قول كراع) . قال ابن الاثير : هي الصورة المصوَّرة لانّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها . . . والدمية ايضاً الصَّنم . . . لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة » . ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا : « احسن من دُمية (امثال الميداني ١ : ٣٠٠) وقد شبَّهوا بها نساءهم قال الاعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) :

وحُورٍ كأمثال الدُّمى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٤ : ١٢) : بنات المنافقين « المزيّنات كدُمى الهياكل » . ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خَصُّوا بها بيَع النصارى ومحاريبهم دلالةً الى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام قال عديّ بن زيد (في الكامل للمبرّد ed. Wright, 460) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالبَيْض في الروض زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للاخرص في الاسلام (الاغاني ٤ : ١٤٤) :

كأنَّ لُبْنى صَبيرُ غادية او دميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

وقال عُمر بن ابي ربيعة (الكامل ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال اميّة بن ابي عائذ (ديوان الهذليين ص ١٧٧) :

او دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفٍ الإفرنسِ

وتبعهُ ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ بعنّابةَ من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنت قسّها

وممَّن وصفوا الدُّمى امرؤ القيس حيث قال (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمًى سُقْفٍ على ظَهرِ مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشيًا مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ (العقد الفريد ص ١٠) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجرٍ تُشادُ وقَرْمَدِ

وكذلك قال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُّمى حورُ العيونِ قد اسْتَنَا

وقال سُلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :

والبيض يرفُلْنَ كالدُّمى في الرَّبْط والمُذهبِ المَصُونِ

وقال زياد بن حَمَل (الحماسة ٦١٤) :

فيها عقائل امثالُ الدُّمى خُرُدٌ لم يَغْذُهنَّ شقا عيشٍ ولا يَتَمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُّمى كانت تُصطنع في بعض انحاء العرب كهَكِر قيل انهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين) :

كناعتَين من ظباء تبالةٍ على جؤذرَين او كبعض دُمَى هَكِرِ

وكذلك ميسان وقيل انها مَيْسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :

وما دميةٌ من دُمَى مَيْسَنا نٍ معجبةٌ نظرًا واتصافا

ولعلَّهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُّصب) وهو في الاصل كل ما كان يُنصَب فيُعبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نُصَائب. وقد خصُّوها بعبادة الاوثان فارادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح . ولعلَّ النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلة يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوَبيل) او (الأَبيل) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقْساً اذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلاً من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليهِ . وهو اليوم

(الجَرَس) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ ايضاً ذكرهُ في التاج قال (٤ : ١١٨): « والجرس الجلجل ... والذي يُضرَب به ». وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس. قال المتلمِّس يذكر خروجهُ الى بلاد غسّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانهِ) :

حنَّت قَلُوصي جا والليلُ مُطرِقُ بعد الهدوّ وثاقتها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » اي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر. ومثلهُ قال المرقّش الاكبر (المفضّليات ص ٤٦٥) :

ونسعُ تَرقّاء من اليوم حولنا كما ضُربت بعد الهدوّ النواقسُ

ومثلهما للأعشى (راجع الجوهري في مادّة حدّ) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٧٩) :

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمّا تُقرَعِ النُّقُسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم نطقُ الدُّجاجِ عن السُّهَد وضربُ الناقوس فاجتُنبا

قال الشارح : « والناقوس انّما يكون في القرى فلمّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصداً على الطريق ». ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها كصوتِ الموانح بالجَرْأبِ
سبقتُ صباحَ فرارجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ. قال وبيعة بن مقروم من ابيات مرَّت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتترَّلِ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْطَ الدَّيرِ قبل الدُّجاجِ وزقاء الطَّيرِ

ومثلهُ لجرير في القسّ (البكريّ ٢١٥) :

صبحنَ نَرْماء والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا نجفُ

وقال جرير ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لما تذكرتُ بالدِّيرَيْن ارّقني صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعا ضارب الناقوس بالأبيل وهو ايضاً الجبر كما مرّ (راجع حماسة البحتري ص ٥٦) :

قافيّ وربّ الساجدينَ عشيّةً وما صكّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أصالحكم حتى تبوّأوا بيتها كصرخة حُبلى بشّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس: « رأيت أبيلًا على وَبيل » اي حبرًا على عصا رعايته . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

امّا (الجَرَس) فلم نجدهُ في شعر قديم . وانّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمّد في الوحي : « احياناً يأتيني (اي الوحي) في مثال صلصلة الجَرَس ». وفي حديث آخر رواهُ مسلم (٤ : ٤٥٠) : « الجَرَس مزامير الشيطان (١) »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئونها بالمصابيح قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نظرتُ اليها بالمحصَّب من منى ولي نظرةٌ لولا التحرُّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لكَ خلف السُّجْفِ ام انتَ حالمُ

وكانوا على الاخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيّة . مرّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقرّبون القرابين في القدّاس ومنهُ قول الاعشى :

وما قدّس الرهبان في كلّ هيكلِ . . .

ومثلهُ قول البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قدّاس النصارى « وضجّ الرهبان بالتقديس »

ومن مناسكهم (القُربان) هو في الاصل كلُّ ما يُتقرَّب بهِ الى الله . وقد خُصَّت بقربان النصارى . قال اميّة (كتاب البدء ٢ : ١١٥) :

ايأمن يَلْقى نصارام سيحَهُمُ والكائنينَ لهُ وذْا وقُرْبانا

---

(١) اطلب Goldziher : *Abhandl. z. arab. Philologie*, p. 189

وروى في اللسان لجرير (١٥ : ١٢٥):

او تتركون الى التَّبْنِ هِجْرَتَكم ومَسْحكم صُلْبَهم رَخْمان قربانا

وقد بنوا منهُ فعلًا فقالوا (تقرَّب) اذا اخذ القربان. قال الاعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق مئة من أسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧):

بهم تتقربَ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صَنَعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة " ليتقرَّبا " يريد تناولها القصحيّ وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة " ܩܘܪܒܢܐ " وهي الطعام والغذاء. ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم. قال عديُّ بن زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانيَّة ٤٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨) :

إذ اتاني نبأٌ من مُنْعِمٍ لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح: « الشبر هو الانجيل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر العجّاج فافتتح احدى ارجيزه بقوله :

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة. وكأنها تعريب اللفظة اليونانيَّة افخاوستيا (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان. وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عديّ : « قيل في الشبر ههنا انهُ القربان »

وقد خصُّوا بالذكر (خمر القربان) وروا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك ابيات ابن بُحَيم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنزلْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ الميثُ ناوها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبرُ

ومثلهُ فيها للاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وان ذُبحتْ صَلَّى عليها وزَمْزما
ببابلَ لم تُقصَر فسالت سُلافة غطاط فنديدًا وسكَّا مختَّما

فبذكرهِ للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدَّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباء طاف حابُها وابرزَها وعليها ختمْ
وقابلها مستهاماً لها وصلّى على دنّها وارتسمْ
فزرّ غا غيرَ مستكبرٍ على الشرب او مُنكر ما عُلِمْ

النهاميّ صاحب الدير وقد مرّت ورُوي (قطب السرور Ms de Paris ff. 67):
« طاف يهودُيها » ولعلّهُ تصحيف لانّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها.
وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر المقدّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتّقها لبعض أربابها حانيةٌ حومُ
تشفي الصُداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدومُ
ظلّت تُرقرقُ في الناجود صفقُها وليدُ أعجَمَ بالكتّانِ مقدومُ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيزِ بَشُبُّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُبال المفتّلا

وكما شربوا خمر القربان اكلوا خبزهُ المقدّس . وقد بيّنّا (ص ٧٢ و١٣٩) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لربّهم » انّما ارادوا بهِ تقرُّبهم من القربان الاقدس فقرّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أكلتْ حنيفةُ ربّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوْ العقوبة والتباعَهْ

ومثلهُ قول الآخر :

أكلتْ ربّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ ومن إمرّازِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الربّ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهليّة اخذوها ايضاً من نصارى الحبش وهي عندهم ⁂ وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في سورة المائدة ع ١١٢ و ١١٤) حيث يذكر انّ الحواريين طلبوا من المسيح ان يُنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السرّي.

ولا شكّ انهُ كان لهم في كنائسهم (منبَر) للكرازة واعظم شاهد على قولنا

انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش ⲙⲁⲃⲁⲕ اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أبي العاصي (ديوانهُ ed. Boucher. p. 19) :

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ اليهِ يشخصُ فوق المِنبرِ البَصَرُ

(لهُ بقيَّة)

القديس اوغستينوس شفيع المذهب الدرويني

نظر فلسفيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

نشر الدكتور امين ابو خاطر الرُّحلاوي في المقتطف (آب ١٩١٣ ص ١٦٢ — ١٦٩) فصلًا عنوانهُ « القديس اوغستينوس وناموس النشوء والتحوُّل » صدَّرهُ بثناء طيِّب على ذاك النابغة الفريد المعدود « من اعظم اقطاب الكنيسة اللاتينيَّة » فسرَّنا هذا الثناء من قلم رجل يتصفَّح كتب ارباب الدين . لكنَّ جنابهُ لم يلبث ان نسب الى نفسهِ اكتشاف اميركة جديدة على نحو كولبوس وبعد أن اكَّد لنا انَّ للقديس « مصنَّفات كثيرة يرجع اليها علماء الدين في التعليم والاستشهاد » ناقض نفسهُ بنفسهِ فقال : « وآراؤهُ الفلسفيَّة التي يقول بها علماء هذه الايَّام دُفنت في خزائن رجال الدين ورجال الدين انفسهم يجهلونها .. ولو رجعوا الى ذلك الحبر النابغة وهو حجَّتهم في التعاليم الدينيَّة لعرفوا خطأهم ورجعوا الى الصواب واجتهدوا اجتهاده في تطبيق العلم على الدين »

فنسألك يا جناب الدكتور كيف تطبِّق بين قولك « انَّ علماء الدين يرجعون الى مصنَّفات القديس اوغستينوس الكثيرة في التعليم والاستشهاد » وقولك انَّ « آراء القديس الفلسفيَّة مدفونة في خزائن رجال الدين الذين يجهلون تلك الآراء » أفيظن الدكتور ابو خاطر ان الكاثوليك يقتنون كلَّ اعمال القديس اوغستينوس ليدفنوها في مكاتبهم ويجعلوها مأكلًا للسوس . فليطمئنَّ بالًا وليعلم جنابهُ

---

١) راجع مقالة للمستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المِنبر عند قدماء العرب (Orient. Stud. Theod. Noeldeke. 1,331 - 351)